

التعريف اللغوي والشرعي للتوبة

التعريف اللغوي:

إن التوبة مصدر الفعل تاب، وأصل هذه المادة: التاء، والواو، والباء، (توب)، وهي تدور حول معاني الرجوع والعودة، والإنابة، والندم^(١).

قال ابن فارس: (توب: التاء والواو والباء كلمة واحدة، تدل على الرجوع، يُقال: تاب من ذنبه؛ أي رجع منه، يتوب إلى الله توبَةً ومتابًا، فهو تائب، والتوب والتوبة؛ قال تعالى: **{ وَقَابِلِ التَّوْبِ }** [غافر: ٣]^(٢).

وقال الفيروزآبادي: (تاب إلى الله توبًا وتوبَةً ومتابًا وتابَةً وتتوبُهُ؛ رجَع عن المعصية، وهو التائب وتواب، تابَ الله عليه: وَقَفَهُ للتوبة، أي رجع به من التشديد إلى التخفيف، أو رجع عليه بفضله وقبوله، وهو تواب على وقال الأزهري: (أصل تاب: عاد إلى الله ورجع وأتاب، وتاب الله عليه: عاد بالمغفرة، وقال عز وجل: **{ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا }** [النور: ٣١]، أي عودوا إلى طاعته وأنيبوا، والله التوابُ يتوب على عبده بفضله إذا تاب إليه من ذنبه، واستتبت فلانًا أي عرضت عليه التوبة مما اقتترف، أي الرجوع والندم على ما فرط منه)^(٤).

ويتبين من خلال هذه النقول أن التوبة في اللغة، هي الرجوع والعودة والإنابة، أو على المعنى الأخص هي الرجوع من الذنب والتقصير إلى الطاعة والاجتهاد، وتكون من العبد إلى الله، وتكون من الله على العبد، فإذا كانت من العبد عُديت بـ"إلى"، وإذا كانت من الله عُديت بـ"على"، وتكون بمعنى قبول توبة العبد.

التوبة لغةً: الرجوع من الذنب، وفي الحديث: ((**النَّدْمُ تَوْبَةٌ**))^(٥)، والتوبة مثله، وقال الأخفش: (التوب جمع توبة، مثل عزيمة وعزم، عومة وعموم)^(٦)، وتاب إلى الله يتوب توبًا وتوبَةً ومتابًا: أي أناب ورجع عن المعصية إلى الطاعة، وتاب الله عليه: وَقَفَهُ لها، أي للتوبة^(٧).

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ابن منظور، (٢/٢٤٤)، ومعجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ص(١٥٧)، وتهديب اللغة، مُجَدِّد الأزهري الهروي، (٣٣٢/١٤).

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ص(١٥٧).

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص(٧٩).

(٤) تهديب اللغة، مُجَدِّد الأزهري الهروي، (٣٣٢/١٤).

(٥) رواه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، (٤٢٥٢).

(٦) معاني القرآن، الأخفش، المحقق: الدكتور فائز فارس، دار البشير ودار الأمل، (١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م)، (٢/٤٥٩).

(٧) لسان العرب، ابن منظور، (١/٢٣٣).

وملاحظة الدلالة اللغوية أن كلمة التوبة تعني الأوب؛ لقوله تعالى: **{فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا}** [الإسراء: ٢٥]، (حدثنا ابنُ بشار، قال: ثنا مُجَدِّ بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في هذه الآية: **{فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا}** قال: الراجعين إلى الخير)^(٨).

(**{فَإِنَّهُ}** تعالى شأنه، **{كَانَ لِلْأَوَّابِينَ}** أي الراجعين إليه تعالى التائبين عما فرط منهم، مما لا يكاد يخلو منه البشر، **{غَفُورًا}** لِمَا وقع منهم من نوع تقصير أو أذية)^(٩).

ومن اشتقاقات كلمة التوبة التوب؛ لقوله تعالى: **{غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ}** [غافر: ٣]، و(توب) التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع، يُقال: تاب من ذنبه، أي رجع عنه، يتوب إلى الله توبةً ومتابًا، فهو تائب، والتوب التوبة^(١٠)، فالتوبة هي: مِنْ تَابَ يتوبُ إذا رجع.

ثانيًا. التعريف الشرعي:

إذا كان كلُّ ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون، وإذا كانت الأخطاء والذنوب والمعاصي ترجع إلى أصلين: ترك مأمور، وفعل محذور، فالتوبة التي قلنا إنها في اللغة الرجوع عن مسلك الطاعة، فهي في الشرع تشمل الرجوع إلى الله بفعل ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه.

وإن كان الذنب في الأمور الاعتقادية تكون التوبة بالقلب، وذلك بالرجوع عن الاعتقادات الفاسدة إلى الاعتقادات الصحيحة، وإن كان الذنب في الأمور العملية، فالتوبة تكون بالجوارح، وذلك بالرجوع عن المعاصي العملية إلى الطاعات العملية.

وقد عرَّفَ الجرجاني التوبة بقوله: (هي الرجوعُ إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب، ثم القيام بكلِّ حقوق الرب)^(١١).

ويقول الراغب: (التوبة تركُ الذنب على أجمال الوجوه، وهو أبلغُ وجوه الاعتذار، فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول: فعلتُ لأجلِ كذا، أو: فعلتُ وأسأتُ وقد أقلعتُ، ولا رابع لذلك، وهذا الأخير هو التوبة)^(١٢).

(٨) تفسير الطبري، (٤٢٤/١٧).

(٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، دار النشر: إدارة الطباعة المنيرية، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (٦٢/١٥).

(١٠) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام مُجَدِّ هارون، الناشر: دار الفكر، ط: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، (٣٥٧/١).

(١١) التعريفات، الجرجاني، ص(٧٤).

ويقول شيخ الإسلام - رحمه الله - : (التوبة هي جماع الرجوع من السيئات إلى الحسنات)^(١٣).
ويقول أيضاً: (التوبة رجوعٌ عما تاب منه إلى ما تاب إليه، فالتوبة المشروعة هي الرجوع إلى الله، وإلى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، وليست التوبة من فعل السيئات فقط)^(١٤).
ويقول ابن القيم - رحمه الله - : (فإن حقيقة التوبة: الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يجب، وترك ما يكره، فهي رجوعٌ من مكروهٍ إلى محبوبٍ، فالرجوع إلى المحبوب جزءٌ مسماها، والرجوع عن المكروه الجزء الآخر)^(١٥).
ويقول أيضاً: (التوبة هي الرجوع مما يكرهه الله ظاهراً وباطناً إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً)^(١٦)، ويقول أيضاً: (فحقيقة التوبة هي الندم على ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال، والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل)^(١٧).
إذاً التوبة في مفهوم الشرع هي جامعة لأمرين: الرجوع عن ترك المأمور إلى فعله، والرجوع عن فعل المحظور إلى تركه، ظاهراً وباطناً، مع العلم بقبح حاله، والندم على فعله، والعزم على ألا يعود إليه إذا قدر، والتدارك لما يمكن تداركه من التقصير، مع إخلاص تام لله، ورجاء ثوابه وخوف عقابه^(١٨).

(١٢) المفردات، الراغب الأصفهاني، ص(١٦٩).

(١٣) الاستقامة، ابن تيمية، (١/٤٦٣).

(١٤) رسالة في التوبة، ابن تيمية، (١/٢٢٨)، ضمن جامع الرسائل.

(١٥) مدارج السالكين، ابن القيم، (١/٢٣٠).

(١٦) التخريج السابق.

(١٧) المصدر السابق، (١/١٣٨).

(١٨) انظر: أعمال القلوب وأثرها في الإيمان، د. محمد دوكوري، ص(٤٦٥ - ٤٦٦)، والتوبة وظيفة العمر، محمد بن إبراهيم الحمد، ص(١٠-١١).